﴿۞وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١﴾ [الأحقاف: 21]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الإعـــراضُ عن الإيـمـانِ سببُ إذهابِ النِّعم في الدُّنيا والآخرة

لمّا ذكرتِ الآياتُ السّابقة حال الَّذين كفروا يومَ القيامةِ، وما يُقال لهم من إذهاب الطَّيّبات في الحياة الدُّنيا والاستمتاع بها؛ بسبب إعراضِهم عن ذكرِ الله تعالى؛ إذ اغترّوا بما لهم من المال والقوَّة؛ ناسب أن يُتبعَ ذلك قصَّة قوم عاد، فإنَّهم كانوا أكثر أموالًا وقوَّة وجاهًا منهم، فلم يمنعهم ذلك من عذاب الله تعالى، فسيقت القصَّة موعظة للمشركين؛ ليتركوا الاغترار بما وجدوه من متاع الدُّنيا، ويقبلوا على طلب الدّين[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾: (حقف) أصلٌ يَدُلُّ عَلى مَيلِ الشَّيءِ وعِوَجِه، احقَوقَفَ الشَّيءُ؛ إذا مالَ[2]، والحِقْفُ: الرَّمْل، ويُجْمَع على أحقاف وحُقوف، واحقَوقَفَ الرَّمْلُ، وظَهْرُ البَعير: طالَ واعوَجَّ[3]، ولهذا قيل للرَّمل؛ إذا كان منحنيًا: حِقْفٌ، قال: وكانت مَنازِلُ قوم عاد بالرِّمال[4]، وهو الرَّمل المستطيل، وما عظم، واستدار منه، وكانت ديار عادٍ بالشَّحر في كثبان رمل[5]، والمراد به في الآية الكريمة الكثيب الَّذي فيه اعوجاج، وهو وادٍ بين عمان ومهرة، وهي ديار قوم عاد[6].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 24، والمراغي، تفسير المراغي: 26/ 28.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حقف).
(3) الخليل، العين: (حقف).
(4) الأزهري، تهذيب اللّغة: (حقف).
(5) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (حقف).
(6) الجوهري، الصّحاح: (حقف)، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 24.

2) ﴿خَلَتِ﴾: (خلو) أصلٌ يدلُّ على تَعَرِّي الشَّيء من الشَّيءِ[1]، خلا المكانُ والشَّيءُ يخْلو خُلوًّا وخَلاءً وأخْلَى؛ إذا لم يكنْ فيه أحدٌ، ولا شيءَ فيه، وهو خالٍ[2]، والخلاء: المكان لا ساتر فيه، ويقابله الملاء، وذلك أنَّ الخلوَّ يستعمل في الزَّمان والمكان، لكن ما تُصوِّر في الزَّمان المضيُّ، ففسَّر أهل اللُّغة قولهم: خلا الزَّمان، بقولهم: مضى، وذهب[3]، فخلا منه المكانُ والزَّمانُ الَّذي كان يشغله، وكلُّ ما في القرآن من التَّركيب، فهو من (خلا) بمعنى مضى، عدا ما نُصَّ فيه على خلاف ذلك[4]، والمراد به في الآية الكريمة: مرَّت، ومضت[5].

3) ﴿ٱلنُّذُرُ﴾: (نذر) أصلٌ يدلُّ على تَخْويفٍ، والإنذار: الإبلاغُ، ولا يَكادُ يَكونُ إلّا في التَّخويفِ، وتَناذروا: خَوَّفَ بَعضُهُم بَعضًا[6]، يقال: أنذَرْتُ القومَ مَسيرَ عدوِّهم إليهم، فَنَذِروا، أي: أعْلَمتُهم ذلك، فنَذِروا، أي: عَلِموا، فَتَحَرَّزوا، والتَّناذُر أن يُنذِرَ القومُ بعضُهم بعضًا، شرًّا مخوِّفًا[7]، فالإنذارُ: إخبارٌ فيه تخويف، كما أنَّ التَّبشيرَ إخبارٌ فيه سرورٌ، قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الليل: 14]، والنَّذيرُ: المنذر، ويقع على كلِّ شيء فيه إنذار، إنسانًا كان أو غيره، وجمعه: النُّذُر[8]، والمراد به في الآية الكريمة: جمع النَّذير[9].

المَعْنى الإجْماليُّ:

التَّذكيرُ بقصَّة هود عليه السلام بغرضِ الاعتبارِ

يقول الله تعالى مسلّيًا النَّبيَّ ﷺ وواعظًا للمشركين: اذكر أيُّها الرَّسول الكريم الَّذين كذَّبوك قصَّة هود مع قومه عاد الَّذين سكنوا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلو).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (خلا).
(3) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (خلو).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (خلو/ خلى).
(5) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 164.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نذر).
(7) الأزهري، تهذيب اللغة: (نذر).
(8) الراغب، المفردات: (نذر).
(9) الخليل، العين: (نذر)، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 24.

الأحقاف، فقد كذَّبوه حين أنذرهم، وخوَّفهم من عذاب الله الشَّديد، وقد جاءت الرُّسل من قبله ومن بعده منذرين أقوامهم داعين إيّاهم إلى التَّوحيد؛ إذ كانوا يعبدون الأصنام من دون الله، فقال لهم ناصحًا: إنّي أخاف عليكم عذاب يوم القيامة العظيم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

نوعُ الواو ودلالتها البيانيَّة:

استئنافُ الإنذارِ بقصَّة هود عليه السلام للاعتبار

افتتح النَّظمُ الجليل الجملة بالواو في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾، وهي هنا استئنافيَّة[2]، سيقت للشُّروع بقصَّة هود عليه السلام موعظة للمشركين الَّذين كفروا، وأعرضوا عن الإسلام، وسيقت للتَّسلية للرَّسول ﷺ على تكذيب قومه له[3].

غرضُ الأمرِ بالذِّكر مادَّة وصيغة:

الذِّكر يدلُّ على الذِّكر اللِّسانيّ والتَّذكُّر القلبيّ

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ الذِّكر في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾؛ لأنَّه أنسبُ لمقصود الآية، فلمّا سيقت للموعظة والتَّسلية لم يكن أجمع لهذين المعنيين من لفظ التَّذكير؛ لأنَّها صالحة لمعنى الذِّكر باللِّسان، وذلك بأن يذكر تلك القصَّة لقومه، ولمعنى التَّذكُّر بأن يستحضر تلك القصَّة في نفسه[4].

نكتةُ استعمالِ (اذكر) دون (اتلُ):

الذِّكرُ إيماء للتَّسلية، والتِّلاوة إشارة للإنذار

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبير بالذِّكر في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ دون أن يقول: (اتلُ)، كما قال تعالى: ﴿۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾ [يونس: 71]؛ لأنَّ عُرْفَ القرآن الكريم أنَّ ما كان فيه تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ؛ يكون بالفعل (اذكر)، وما كان فيه إنذارٌ لأمَّته؛ يكون بالفعل

(1) المراغي، تفسير المراغي: 26/ 29، والهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 67.
(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 13/ 188.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 44.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 44.

(اتل)[1]، كقوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥﴾ [الأعراف: 175].

غرضُ استعمال مفردة الأخوَّة:

تسليةُ المخاطَبِ بما كان من السّابقين مع إخوانِهم من المرسَلين

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ الأخوَّة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾؛ تسليةً للنَّبيِّ ﷺ، وذلك لأنَّ ما يلقاه المرء من قومه مع علمهم بمناقبه وفضله أنكأ وأشدُّ على النَّفس[2]؛ لأنَّه لمّا كان أخوهم ومع ذلك كفروا به مع معرفتهم به وبفضله، فقد بيَّن ذلك شدَّة ما لاقاه هود عليه السلام منهم، وهذا تصبير وتسلية للنَّبيِّ ﷺ، فهو أخوهم كما أنَّك أخو قريش، ومع ذلك، فلم تثنِهم هذه الأخوَّة عن الاتِّباع، وترك الكفر والارتداع، ففرض هذا التَّعبير تسليةُ النَّبيِّ ﷺ، وبه تتضافر أسباب التَّسلية في مقامِ التَّنبيه والتَّحذير بطريق الإيماءِ والتَّنبيه.

دلالةُ استعمالِ الظَّرف ﴿إِذۡ﴾ ووظيفته في الجملة:

مقصودُ قصصِ السّابقين الموعظة والإنذار المبين

عبَّر النَّظم الجليل بالظَّرف ﴿إِذۡ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾؛ للدَّلالة على الوقت الَّذي وقعت فيه قصَّة هود عليه السلام مع قومه، أي: اذكر حين قال لهم ما قال، وجاء موقعه الإعرابيُّ مؤدّيًا وظيفة البدل، فلمّا ذكر النَّظم الجليل هودًا لمقصد تسلية النَّبيِّ ﷺ؛ أبدل منه قصَّته؛ وذلك لبيان أنَّ المقصود من الرِّسالة هو الإنذار[3].

نكتةُ استعمالِ لفظِ القوم دون العشيرة:

لفظُ القوم دليلٌ على مُكنةِ القومِ من القيامِ بما يؤمنون به

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبير بلفظ القوم في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ دون العشيرة، فلم يقل: (إذ أنذر

(1) البسيلي، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد: 3/ 522.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 162.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 162.

عشيرته)؛ للدَّلالة على أنَّهم ذوو قوَّة زائدة، تمكِّنهم من القيام بما يدعون إليه وما يحاولون القيام به[1]، فبينهم جهة جامعةٌ تُمكِّنهم من القيامِ بما يريدون، ومن ذلك الإيمان والامتثال لما أُمروا به.

دلالةُ إضافةِ قوم إلى الضَّمير العائد على نبيِّهم:

من لطفِ الله بالعباد إرسال من يعرفون شأنه وحاله

أضاف النَّظم الجليل لفظَ القوم إلى الضَّمير العائد على نبيِّهم في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾؛ للدَّلالة على أنَّه قد أمحضهم النُّصح[2]، فالمرء لا يأتي بما يضرُّ أهله وقومه، كما أنَّ فيه إشارة إلى اللُّطف بهم بأن يبعث الله تعالى إليهم رجلًا منهم، وأنَّهم يعرفونه، وأنَّه ليس أجنبيًّا عنهم، وأنَّه حريصٌ عليهم، وهذا أدعى لتصديقه واتِّباعه.

نوعُ الباء ودلالتها:

صلاح المكان للعيش حتّى التصقوا به، واستقرّوا فيه

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجرِّ (الباء) في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾، وهي هنا للظَّرفيَّة، فكانت منازلهم بهذا الوادي الَّذي هو في الأحقاف[3]، وإنَّما آثر الباء على (في)؛ لما في الباء من دلالة على الإلصاق، فكأنَّهم كانوا ملاصقين لبلدتهم؛ تعبيرًا عن وفرة النِّعم فيها ودوام صلاحها، فجمع حرف الباء دلالةَ الظَّرفيَّة والإلصاق، وشأنُ الَّذي يعيش بين كثبان الرِّمال أن يلتصق بها، لكثرةِ تحرُّكها وقوَّة أثرها، ويمكن أن تكون الباء قد أفادت معنى إنذاره لهم بالأحقاف، على اعتبار أنَّه هدَّدهم بزوال مملكتهم ونكوصها بعد قوَّة، فكأنَّه هدَّدهم بما كانوا يعدّونه رمزًا لقوَّتهم.

سرُّ التَّقييدِ بشبه الجملة ودلالتها:

قيَّد النَّظم الجليل القومَ بشبه الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾؛ لبيان حالهم، أي: حال

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 162.
(2) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 323.
(3) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 65.

كونهم نازلين بالأحقاف، أو لبيان صفة القوم، أي: أخا عاد الكائنين بالأحقاف، أي: بالوادي المعلوم، وشبه الجملة على هذا المعنى ليست متعلِّقة بالإنذار كما قد يتبادر[1]، وفائدة بيان الحال والصِّفة بأنَّهم كائنون في ذلك المكان زيادة في البيان، واستدعاء لما علق في أذهان المشركين من معرفتهم بما حلَّ بهؤلاء القوم موعظة لهم، ويمكن أن تتعلَّق شبه الجملة بالإنذار على معنى أنَّه أنذرهم زوال الأحقاف.

التَّنبيهُ على موطن السُّكنى استدعاء لما علق في الأذهان من سوء المآل

نوعُ الواو ودلالتها المقاصديَّة:

افتتح النَّظمُ الجليل الجملة بالواو في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾، وهي صالحة أن تكون للحال أو الاعتراض[2]، فذهب بعضٌ من أئمَّة التَّفسير إلى أنَّها حاليَّة، والمعنى أنَّه أنذرهم، وهم عالمون بإنذار الرُّسل من قبل هود عليه السلام ومن بعده[3]، فلم يكن بدعًا من الرُّسل، وأجاز بعض الأئمَّة أن تكون الجملة اعتراضيَّة، اعترضت بين المفسِّر والمفسَّر، أي: بين قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾، وقوله جلَّ شأنه: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، جيء بها لتقرير ما قبلها، ولبيان اشتراك الرُّسل بالدَّعوة إلى العبادة[4]، وعلى الحاليَّة يكون المعنى أنَّهم عالمون بما كان من مضي النُّذُر وما سيأتي، وعلى القول بالاعتراض، فهو إخبارٌ عمّا كان من الإنذارِ في السّابق واللّاحق، والَّذي يظهر أنَّ القولَ بالاعتراضِ أقوى، وذلك للإخبارِ عمّا كان من بعد عاد، والمقصود الإيماء بقصد تحذيرِ قريشٍ ممّا كان منهم قريبًا، أن يُصيبهم ما أصابَ جميعَ من سبقهم ممَّن كانوا قبل عادٍ أو بعدها.

تحذيرُ قريشٍ أن يُصيبها ما أصابَ السّابقين

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 65 - 66، والدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه: 9/ 39.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 115.
(3) النيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 124.
(4) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 66، وينظر: ابن جزي، التسهيل: 2/ 277، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 45.

فائدة استعمال (قَدْ):

بعثُ الرُّسلِ من قبل هود وبعده على وجه القطع والتَّأكيد

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف التَّحقيق (قَدْ)، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾، وهي هنا دالَّة على تقريب الفعل الماضي من الحال[1] على القول بالحاليَّة، فتقدَّم النَّذر عليه لم يكن قد مضى عليه فسحة من الزَّمان بحيث يجهل أمر الرِّسالات، كما أنَّ (قَدْ) تفيد تحقيق الفعل وتأكيده، فكونُ هود ﷺ مسبوقًا برسلٍ قبله أمرٌ مؤكَّد، ومجيءُ رسلٍ بعده مثلُه في التَّأكيد، لاسيَّما أنَّه يدخل في المقصود بمن خلفَه أقوامٌ وصلت أخبارُها قريشًا.

نكتةُ تعريف ﴿ٱلنُّذُرُ﴾ وجمعها:

من لطائف الله بخلقه تتابع الرُّسل وكثرتهم

عرَّف النَّظم الجليل النُّذُر بالألف واللّام في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾؛ للدَّلالة على جنس النُّذر، فليس المرادُ تعيينهم، وجاء التَّعبير عنها بصيغة الجمع؛ للدَّلالة على أنَّهم كثيرون[2]، وفائدة الكثرة إظهار أنَّ كفر قريش بالنَّبيِّ ﷺ ليس بعدًا من الأقوام، وهذا موطن التَّسلية له ﷺ.

نوع ﴿مِنْ﴾ ودلالتها:

الرُّسل على نهجٍ واحدٍ في الإنذارِ والرِّسالةِ

استعمل النَّظم الكريم حرفَ الجرِّ ﴿مِنْ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾؛ للدَّلالة على ابتداءِ الغاية، أي: ابتداءً من الزَّمن السّابق لهودٍ ﷺ وما علا، وابتداءً من الزَّمن اللّاحق وما بعده، فما أرسل الله تعالى أحدًا من المرسلين، إلّا ورسول الله هودٌ ﷺ على نهجهم في الإنذار المبين، فما كان بدعًا منهم.

بلاغةُ التَّعبير بـ ﴿بَيْنِ يَدَيْهِ﴾:

الكنايةُ عن قربِ عهد الأقوام بالرِّسالات

جاء التَّعبيرُ بقولِه جلَّ شأنه: ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾؛ للدَّلالة على مَن سبقه من المرسلين، كنوح وشيث ﷺ[3]، فلم يكن هودًا ﷺ بدعًا من

(1) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه: 9/ 39.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 164.
(3) الخطيب، السراج المنير: 4/ 13.

المُرسَلين ولا غريبًا عنهم شأن الرِّسالات، كما أنَّه يدلُّ على أنَّ زمان سبق أولئك الرُّسل كان قريبًا منه، فالتَّعبير بـ﴿بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ كنايةٌ عن القرب، فما يكون بين يدي الشَّيءِ يكون قريبًا لا بعيدًا، كما في قوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ١٦﴾ [سبأ: 46]، أي: قبل العذاب القريب[1].

بلاغةُ التَّعبير بـ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾:

الكنايةُ عن بعدِ عهد الأقوام بالرِّسالات

جاء التَّعبيرُ بقولِه جلَّ شأنه: ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾؛ للدَّلالة على الرُّسل الَّذين أتوا من بعده، فهي دالَّةٌ على البُعد، فكما كان التَّعبير بـ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ كنايةً عن القرب في الزَّمان، فإنَّ التَّعبير بـ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ كنايةٌ عن البُعد في الزَّمان، أي: رسلًا سابقين عليه بزمان طويل[2]، وفي التَّعبير بهذه الظَّرفيَّة دلالة على استمرار إرسال الرُّسل واستمرار التَّكذيب بها، وفي هذا تسريةٌ للنَّبيِّ ﷺ أنَّ قومك ليسوا بدعًا من النّاس في تكذيبهم.

نوع (أنْ) ودلالتها:

الغايةُ الأسمى من الإنذار كفُّ العباد عن الشِّرك

عبَّر النَّظم الجليل بـ (أنْ) التَّفسيريَّة في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ لكونها مسبوقة بما فيه معنى القول دون حروفه، وهو الإنذار، فجيء بها لتفسير إنذار الرُّسل بأيِّ شيء كان[3]، فبيَّن أنَّ الإنذار كان بالنَّهي عن الشِّرك.

غرضُ النَّهي ودلالتُه:

كلُّ معبودٍ من دون الله فباطلٌ في ذاتِه ومآله

عبَّر النَّظم الجليل بأسلوب النَّهي في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ بإدخال لا النّاهية على المضارع[4]، وذلك لحصر العبادة في عبادة الله تعالى وحدَه، فدخلت أداة الاستثناء؛ لتجعل العبادة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 46.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 46.
(3) الخفاجي، عنايه القاضي وكفاية الراضي: 8/ 33.
(4) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه: 9/ 40.

محرَّمةً على كلِّ أحدٍ إلّا المذكور بعدها، فلم يبعث الله تعالى رسولًا من هود ﷺ ولا من بعده إلّا وقد أمر بعبادة الله وحده[1].

براعةُ إيثارِ أسلوبِ القصْرِ على الأمر:

التَّوحيدُ أصلُ كلِّ الرِّسالات وغايةُ جميعِ الدَّعوات

آثر النَّظمُ الكريم أسلوبَ القصر على أسلوب الأمر في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ فلم يقل: (أن اعبدوا الله)؛ وذلك لأنَّ الأمر بالعبادة ليس نصًّا في التَّوحيد، أمّا النَّهي عن العبادة مطلقًا، ثمَّ قصْرُها بالاستثناء على الله وحدَه؛ فنصٌّ في التَّوحيد.

علَّة فصل جملة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾:

الخوفُ على النّاس رحمةٌ تكتنزُها قلوب الدُّعاة

فصل النَّظم الجليل الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾؛ لأنَّها تعليلٌ لجملة النَّهي، سيقت لبيان علَّة النَّهي عن الشِّرك، والدَّعوة إلى التَّوحيد[2]، والتَّعليلُ بيانٌ لنتيجةِ عبادةِ غير الله تعالى، وهو عذاب يوم القيامة، ويُبيِّن التَّعليل رحمةَ هود ﷺ بقومِه؛ إذ الخوف ترجمان الحرص على نجاتِهم من النّار.

غرضُ توكيد جملة الفاصلة:

التَّوكيدُ برهانٌ على وجودِ اختلافٍ بين طرفي الخطاب

أكَّد النَّظم الجليل الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ بحرف التَّأكيد (إنّ)؛ ردًّا على إنكارهم وكفرهم به، وللدَّلالة على شدَّة التَّحذير[3]، كما أنَّ في التَّأكيد إيماءً إلى شديد حرص هود ﷺ على قومه المُكذِّبين، فلولا تكذيبُهم وكفرُهم بعذاب يوم البعث؛ لما احتاج خطابُهم إلى التَّأكيد.

دلالةُ استعمال مفردة الخوف مادَّة وصيغة:

عبَّر النَّظمُ الجليل بمفردةِ الخوف في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ

(1) الواحدي، البسيط: 20/ 191.
(2) الخفاجي، عنايه القاضي وكفاية الراضي: 8/ 33.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 164.

﴿عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ لدلالته على "توقُّع مكروه عن أمارة مظنونة، أو معلومة"[1]، وهو هنا واقع عن دراية معلومة، فحذَّرهم من العذاب مُبديًا خوفه وشفقته عليهم، فلمّا كفروا بالاعتماد على قوَّتهم وعظمة شأنهم؛ بيَّن لهم أنَّهم في حال بحيث يخاف عليهم، وجاء التَّعبير بالفعل المضارع؛ للدَّلالة على تجدُّد الخوف واستمراره.

العلمُ بمآل الكفر يظهر الخوف والشَّفقة على الغافلين

نكتةُ تقديم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ على المفعول به:

قدَّم النَّظمُ الجليل شبهَ الجملة على المفعول به في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، فلم يقل: (أخاف عذاب يوم عظيم عليكم)؛ وذلك للاهتمام بالمقدَّم وتفخيم المؤخَّر وتهويل شأنه، وهو ما يُؤكِّد كبيرَ حرصه عليهم، وبليغ تحنُّنه عليهم في الخطاب، فإشعارُ المخاطَب بحرص المتكلِّم يُقربُ الفجوةَ بينهما، ويُبعد الغربة عنهما، فشأنُ التَّقديم الإشعارُ بشديد الحرص، وبالغ الرَّحمة.

تقديمُ الألفاظِ دليلٌ على مكنوناتِ النَّفس

نوعُ إضافةِ ﴿عَذَابَ﴾ إلى الظَّرف ودلالتها:

أضاف النَّظمُ الجليل لفظ ﴿عَذَابَ﴾ إلى ﴿يَوْمٍ﴾ - المراد به يوم القيامة - في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ لأنَّ العذاب في ذلك اليوم متَّصف بالعظمة، وليس بوسع أحد النَّجاة منه[2]، والإضافة بمعنى (في)، أي: أخاف عليكم عذابًا في يوم عظيم، فهو في ذلك اليوم مشهودٌ، لا يغيبُ حالُه عن أحدٍ، ولا يجهله النّاس؛ لما يرونه من عظيم المشهد.

عذابُ يوم القيامة لا فرار منه ولا نجاة

غرضُ تنكيرِ لفظ ﴿يَوْمٍ﴾:

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ عن ﴿يَوْمٍ﴾ بصيغة التَّنكير في قوله جلَّ شأنه: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ تهويلًا لشأنه وتعظيمًا له، فهو يوم عظيم الهول، يجب أن يحذر منه ومن العذاب الَّذي يقع فيه.

(1) الراغب، المفردات: (خوف).

(2) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 26/ 26.

دلالةُ وصف اليوم بالعظمة:

شـــأنُ يـوم الحساب عظيم الخطر جليل الخطب

وصف النَّظمُ الجليل اليوم بأنَّه ﴿عَظِيمٍ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾؛ لدلالته على الزِّيادة في الخطر، و"أصل العظم الكبر والزِّيادة في الأجزاء المحسوسة، هذا أصله، ثمَّ يتجوَّز به في المعاني نحو قوله: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦﴾ [آل عمران: 176]"[1]، فوصف اليوم بالعظم ينسحب على العذاب الَّذي يقع فيه، فهو عذابٌ لا يدع جهة إلّا ملأها لعظمه وشدَّته، وهو العذابُ المناسب لإصرارهم على الشِّرك[2]، فعِظَمُ اليوم لما فيه من أهوال عظام جسام، جزاءَ الأعمال العظيمة الَّتي قام بها المكذِّبون في الدُّنيا، وعلى رأسها الشِّرك والعناد على الكفر.

المجازُ العقليُّ في وصف العذاب بالعظيم:

هـولُ الأحـداث يـوم القيامة أحالته إلى العظمة وخطورة الشَّأن

وصف النَّظم الجليل اليوم بصفة العظم في قوله جلَّ شأنه: ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾، وهي صفة خاصَّة بالمحسوسات، وتُستَعمل لوصف المعاني مجازًا[3]، وإنَّما صحَّ وصفه بالعظم بالنَّظر؛ لما يقع فيه من أحداث عظيمة، فهو مجاز عقليٌّ علاقته الزَّمانيَّة[4].

❁ الفروق المعجميَّة:

القوم والعشيرة:

العشيرة أخصُّ من القوم، فهُم الأقارب والأهل، والقوم عامٌّ في جماعة النّاس

القوم يدلُّ على جماعَةِ ناسٍ[5]، وهم الرِّجال دون النِّساء[6]، فيشمل جميع الرِّجال من قومه عامَّة، أمّا العَشِيرَةُ؛ فهُم أهل الرَّجل الَّذين يتكثَّر بهم، أي: يصيرون له بمنزلة العدد الكامل، وذلك أنَّ العَشَرَةَ هو العدد الكامل، قال تعالى: ﴿وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ﴾

(1) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (عظم).
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 164.
(3) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (عظم).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 46، وينظر: القنوجي، فتح البيان: 13/ 30.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قوم).
(6) الجوهري، الصحاح: (قوم).

[التوبة: 24]، فصار العَشِيرَةُ اسمًا لكلِّ جماعة من أقارب الرَّجل الذين يتكثَّر بهم[1]، وأصل العشيرة (عشر) يدلُّ على المُخالَطَةِ والمُداخَلَةِ فالعِشرَةُ والمُعاشَرَةُ، وعَشيرُكَ: الَّذِي يُعاشِرُكَ، وإنَّما سُمِّيَتْ عَشِيرَةُ الرَّجُلِ لِمُعاشَرَةِ بَعضِهِم بَعضًا[2]، فالعشيرة أقلُّ من القوم، وأقربُ للمرء من قومه، وجاء التَّعبير في الآية بلفظ القوم؛ لأنَّ رسالة هود ﷺ لا تختصُّ بعشيرته بل بكلِّ قومه.

(1) الراغب، المفردات: (عشر).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عشر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"